Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

Bar-Ilan University

DANGOOR EDUCATION

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/pekudei/dont-sit-walk/

"كي تِتْسيه" هو النصُّ الأسبوعي السادِس من كِتاب "دڤاريم" (أي سِفر التثنية) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية العاشرة من المَقطع الحادي والعشرين وينتهي بالآية التاسعة عشرة من المقطع الخامس والعشرين.

حُدودُ المَحبّة

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

في هذا النصّ الأسبوعيّ المليء بالقوانين والتشريعات نَجِدُ قانوناً في قمّة الروعة، قانونٌ ينُصُّ على ما يلي:

> **"إن كانت زوجتان لرجل واحد، إحداهما محبوبة والأخرى مَكروهة (سنوءاه بالعبرية)، فولدتا لهُ بنيناً، المحبوبة والمَكروهة، وكان الابن البِكر للمَكروهة منهُنّ. ففي يوم ينحلّ بنيه ما يكونُ له، فلا يجوزُ له أن يُفَضِّلَ ابن المحبوبة على البكرِ ابن المكروهة. بل يجبُ عليه أن يُعرِّفَ الناس بالبكر ابن المَكروهة ليُعطى له سهمان من جميع ما يوجدُ له، إذ هو أول نَيلهِ وله حُكم البُكوريّة".** (تبعاً لما تذكر الآيات 15-17 من المقطع الحادي والعشرين من سفر التثنية).

إنه قانونٌ في قِمة المنطقية، فخلال عهد التناخ* كان الابن البِكر في يسرائيل يُعطى حِصّتين مما يرثه من والده،[1] وتبعاً لهذا القانون فإنه لا يحقّ للأب أن يتدخّل ويُقرّر إعطاء الامتياز الذي يحظى به الابن البِكرُ لابنٍ آخر من أبنائه. بمعنى آخر، لا يحق للأب أن يُفَضِّل ابناً على الآخر، خاصة حين يكون هذا الابن من الزّوجة التي يُحبّها أكثر من الزوجة الأخرى التي أنجبت له ابنه البِكر.

***مُلاحظة توضيحية من المترجم: التَّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغيوغرافيا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

والقوانين الثلاثة الأولى في هذا النص الأسبوعي، أي القانون المتعلّق بالنساء اللواتي يتم سَبيُهنّ في الحروب والمعارك، والقانون الذي ذكرناه للتّوّ والمتعلق بحقوق الابن البِكر، وقانون الابن العاقّ (أو الابن الزائِلُ المُخالف تبعاً لوصف التوراة) هي قوانين تتطرق لحالة الخلل والاضطراب داخل العائلة. وفي هذا السياق يوضح كبار الحاخامات بأن هذه القوانين وردَت في التوراة بهذا الترتيب والتسلسل على وجه التحديد من باب التلميح إلى أن الرجل الذي يَسبي امرأةً سيُعاني من حالةٍ من الاضطراب داخل بيته، الأمر الذي سيؤدي إلى وجود ابنٍ عاقّ له.[2] وتنظرُ الديانة اليهودية للزواج على أنه الركيزة الأساسية في بناء المُجتمع، وأي خلل في الزواج سيؤدي إلى حدوثِ خللٍ في مناحي أُخرى من حياة المرء، وهذه حقيقة واضِحة وضوح الشمس.

لكن ما هو استثنائيّ حول هذا الأمر هو أنه يتناقضُ بشكل واضح مع القصة التوراتية المتعلقة بيعقوف/يعقوب وزوجتيه ليئاه/ليئة وراحيل. في الحقيقة، فإن التوراة، وعبر اللغة التي تستخدمها، تربطُ بأسلوبٍ لغويّ لا يشوبه أي خطأ بين قانون الابن البِكر وبين هذه القِصة، حيثُ يذكر القانون هاتين الكلمتين المُتناقضتين "أهوفاه" بمعنى المحبوبة، و"سنوءاه" بمَعنى المَكروهة، وهاتان الكلمتان تحديداً استخدمتهما التوراة للحديث عن قِصة ليئاه وراحيل.

ولنستذكر السياق الذي وقعت فيه أحداث القصة، حيثُ فَرّ يعقوف هارباً إلى خاله لَفان/لَبان، وهناك وقعَ في حُبّ ابنته راحيل من أول نظرة، وعَمِل لدى والدها سبع سنواتٍ حتى يتمكّن من الزواج بها. لكن في ليلة الزفاف قام والدها لَفان باستبدال راحيل بابنة أُخرى من بناته وهي ليئاه، حينها امتعضَ يعقوف قائلاً: **"ماذا صنعت بي؟"**، فردّ عليه لَفان ساخراً: **"لا يُصنعُ كذا في بلدنا، أن تُزَوَّج الصغيرةُ قبلَ الكبيرة"** تبعاً لما تذكره الآيتان الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من المقطع التاسع والعشرين من سفر التكوين.[3] عندها وافَقَ يعقوف على العمل سبع سنوات أخرى من أجل الزواج براحيل. وزفافهُ الثاني كان بالكادِ بعد أسبوع من زواجه الأول، وهُنا تُخبرنا الآية الثلاثون والحادية والثلاثون من نفس المقطع والسفر بالتالي:

"ودَخَل (يعقوف) إلى راحيل، وأحبها أكثر من ليئاه... فعِلم اللهُ أن ليئاه مَكروهةٌ (سنوءاه)، فرزقها ولداً، وراحيلُ عاقِرٌ".

بالتالي رَزَقَ الله ليئاه بمولود أطلقت عليه اسم رؤوفن/روبن، لكن الألم ظل يعتصر قلبها لأن يعقوف لم يكن يُحبها بقدر ما كان يُحبّ زوجته الأخرى راحيل. فنقرأ في الآية الثالثة والثلاثين من نفس المقطع ونفس السِّفر ما يلي:

"وحَمَلت أيضاً، وولدَت ابناً. قالَت إن الله سَمِع أنّي مَكروهةٌ (سنوءاه) فرزقني هذا الطفل أيضاً، فأسمَتهُ شِمعون/سمعان".

ومن الملاحظ أن كلمة "سنوءاه" (بمعنى مَكروهة) تظهرُ ستَّ مرات في التوراة: مرتين في الجزئية التي تطرقت للحديث عن ليئاه، وأربع مراتٍ في هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة في مستهل الحديث عن قانون حقوق الابن البِكر. وهنالك رابطٌ أقوى يربطُها بموضعين من آيات التوراة عندما تذكر رؤوفن الابن البِكر ليعقوف الذي أنجبه من زوجته ليئاه، أولهما الآية السابعة عشر من المقطع الواحد والعشرين من سفر التثنية **"إذ هو أوّلُ نيله، له حُكم البكورية"**. أما الموضع الثاني فهو ما تُخبرنا به الآية الثالثة من المقطع التاسع والأربعين من سفر التكوين: **"يا رؤوفن أنتَ بِكري، وقوّتي وأول نيَلي، مُفضَّلٌ في الشرف ومُفضّلٌ في العِزّ"**.

ونظراً لهذا الاستخدام السِّياقيّ واللغوي المتشابه في هذين الموضِعيْن فإن من يقرأ القانون الموجود في هذا **النصّ الأسبوعي** بانتباهٍ سيجد أن هذا التشريع هو تفسير يتعلق بقِصة يعقوف في طريقة تصرفه مع أبنائه لأن تصرّفهُ معهما يخالف تماماً ما نصّ عليه القانون المذكور في الآية الأولى. فقد قامَ **بتغيير** حَقّ البُكورة ومنحه لابنه يوسف (ابن زوجته المُحبّبة راحيل) بدلاً من أن يمنحه لابنه رؤوفن (ابن زوجته ليئاه) الذي يُعتبر ابنه البِكر في الحقيقة. وهذا ما قاله لابنه يوسف بحسب ما تذكر الآية الخامسة من المقطع الثامن والأربعين من سفر التكوين:

والآنَ ابناكَ المولودان لك في بلد مصرَ، إلى أن آتي إليكَ إلى مصر هُما يُنسبان إليّ، أفرايم ومَنَشّيه، مثل رؤوفن وشمعون".

لقد كان من المفروض أن يكون لِـرؤوفن حصتان من ميراث أبيه، لكن عِوَضاً عن هذا ذهبت الحصتان إلى الابن الآخر يوسف. كما نجد أن يعقوف قد اعترفَ بحقوق ابنَي يوسف الاثنين من الميراث وبأنهما يستحقان ميراثهما كاملاً، بالتالي أصبح لكل من أفرايم ومنشّيه قبيلة بحد ذاتها. بصريح العبارة، يبدو أننا نشهدُ تناقضاً كبيراً بين ما يذكره سِفر التكوين وما يذكره سِفر التثنية، والسؤال الذي يطرح نفسه هُنا: كيف بإمكاننا حلّ هذه المُعضلة وتفسير هذا التناقض؟

في الحقيقة، قد يكون المبدأ الحاخامي الذي يقول بأن الآباء الأوائل لليهودية قد عاشوا في ظلال التوراة وطبقوا تشريعاتها قبل أن تُمنح لنبي يسرائيل هو مجرد مبدأ تقريبي وليسَ بتلك الدرجة من الدقة. بمعنى أن القوانين والتشريعات قبل العهدِ مع الله عزّ وجلّ فوق قمة جبل سيناء ليست جميعها ذاتَ القوانين والتشريعات التي سبقَت ذلك. وفي هذا السياق يذكر لنا الحاخام موشيه/موسى بن نَحمان بأن قِصة يهودَه وتَمار المتعلقة بِزواج الأخ من أرملة أخيه المُتَوَفَّ* فإنها مذكورة بطريقة تختلف قليلاً في سِفر التثنية.[4]

وبجميع الأحوال فإن هذا ليسَ هو التناقض الوحيد الذي نجده بين ما ذُكِرَ في سِفر التكوين والقوانين والتشريعات اللاحقة، وأحد أبرزها هو أن يعقوف قد تزوّج بِشقيقتين، وهو أمرٌ مُحَرَّمٌ تماماً بحسب ما يذكر سِفر اللاويين في الآية الثامنة عشرة من المقطع الثامن عشر. وهُنا يبرزُ الحَلُّ لهذه المعضلة من وجهة نظر الحاخام موشيه بن نحمان، وهو حلّ مذهل ينسجمُ مع رؤيته المتميزة للعلاقة بين التشريعات اليهودية وأرض يسرائيل، إذ يَرى بأن الآباء الأوائل لليهودية طبّقوا قوانين التوراة فقط عندما كانوا موجودين فوق أرض يسرائيل نفسها،[5] فيعقوف تزوّج من ليئاه وشقيقتها راحيل خارج أرض يسرائيل، تحديداً في بيت لَفان في منطقة حران (التي يُعتقدُ بأنها موجودة في تُركيا في يومنا هذا).

وفي السياق ذاته يوضّح الحاخام يتسحق بن يهوده أبربنئيل تفسيراً مُختلفاً تماماً لهذه المُعضلة، مُبيناً بأن يعقوف قد انتزعَ حقّ البكورة من ابنه رؤوفن لصالِح ابنه الآخر يوسف لأن الله عزّ وجلّ هو الذي طلب منه القيام بذلك. بالتالي فإن التشريع الذي وردَ في سِفر التثنية مذكورٌ ليوضح بأن ما حدث مع يوسف كان الاستثناء، وليس الأصل. وهذا ما يوضحه تفسير الحاخام عُقاديا سفورنو الذي يُبين بأن ما حرَّمهُ سِفر التثنية ينطبقُ في حالة أن الأب قام بانتزاع حقّ البكورة من ابنه البِكر ومنحه لابنه الآخر فقط بسبب تفضيل الأب لزوجة على الأخرى، بالتالي فإن هذا التحريم لا ينطبقُ على نقل البكورة من الابنِ البِكر الذي يرتكب معصية تؤدي إلى إبطال حَقّه الشَّرعي في الحصول على حقوق البكورة. وهذا ما قصده يعقوف حين قال وهو على فراش الموت مُخاطباً ابنه رؤوفن: **"والآن بنهلةِ من ماءٍ لا تُفَضَّلُ، إذ صعدت لمضجعِ أبيك، حينئذٍ مما بذلتَ فِراشي، تَخلصُ"** بحسب ما تذكر الآية الرابعة من المقطع التاسع والأربعين من سِفر التكوين. وهذا ما ذُكِر بمنتهى الوضوح في سِفر أخبار الأيام الأول في الآية الأولى من المقطع الخامس: **"ورؤوفن... هو بِكر يسرائيل (يعقوف)، ولأجل تدنيسه فِراش أبيه أُعطِيَتْ بكوريّته لِبَني يوسُف بن يسرائيل".**

في الوقت نفسه هنالك تفسيرٌ من نوعٍ آخر ويختلفُ كُلّياً عن التفسيرات السابقة. فما يجعلُ التوراة بهذا القدر من النُدرة والتميّز هو أنها كتاب **تشريعٍ** (وهذا هو المَعنى الأساسي لكلمة توراة) وكتاب **تاريخٍ** في الوقت نفسه. وفي كتب أخرى نجد هذين الموضوعين بعيدين تَماماً عن بعضهما. لكن يوجدُ في التوراة تشريعٌ يُجيبُ على السؤال الآتي: "ما هو المَسموح لنا فِعله وما هو المَحظور علينا فِعله؟". وهنالك تاريخٌ يجيبُ على هذا السؤال: "ما الذي حدث؟". وقد يبدو بأنه لا توجد أي علاقة واضحة بين الموضوعين على الإطلاق، لكن هذا لا ينطبق على اليهودية، ففي العديد من الحالات، خاصة في قوانين مِشپات (القوانين المدنية)، فإننا نجدُ علاقة بين التشريعِ والتاريخ، أي بين ما حدثَ من جهة، والمسموح والمحظور من جهة أخرى.[6] فعلى سبيل المثال نجدُ أن قدراً كبيراً من التشريعات التوراتية قد ظهرت كنتيجة مُباشرة لتجربة العبودية في أرض مصر، وكأن هذه التشريعات تقول لنا: هكذا عانى أجدادنا في أرض مصر، لهذا لا تفعلوا الأمر ذاته، فلا تظلموا العامِل ولا تتركوا يهودياً عبداً طيلة حياته، ولا تتركوا موظفيكم وخَدَمَكم دون يوم عُطلة أسبوعية ليرتاحوا فيه، بالإضافة إلى غيرها من التشريعات.

في الوقت نفسه، لا يُمكننا تعميمُ هذا الأمر على جميع تشريعات التوراة، لكن بإمكاننا القول بأن هذه التشريعات تُمثّل واقِعاً يتمخّضُ عَن التجربة، وعَدلاً يتجسّدُ من عِبَر ودروسِ التاريخ. لهذا تتخذُ التوراة من الماضي مَرشداً للمُستقبل، هذه التجارب السابقة التي هي إيجابية في العادة لكنها لا تخلو من السلبيات أيضاً.

وفي هذا السياق يوضح لنا سِفر التكوين – من بين أمور أخرى – بأن تفضيل يعقوف لزوجته راحيل على زوجته ليئاه، وتفضيله لابنها البكر يوسف على ابن ليئاه البِكر رؤوفن كان نتيجة لحالة من التنافر الشديد والشرخ العميق داخل العائلة الواحدة، هذا التنافرُ الذي كان على وشك أن يؤدي إلى قتل الإخوة لأخيهم يوسف، بل وقاد إلى قيامهم ببيعه كعبدٍ للإسماعيليين. وهُنا يوضح الحاخام ابن عِزرا بأن هذه الأحقاد بين أبناء العائلة الواحدة قد انتقلت لعدة أجيال من أبناء وأحفاد رؤوفن، كما أنها السبب الذي جعل داتان وأفيرام – اللذان ينحدران من نسل رؤوفن – من الشخصيات البارزة التي شاركت في محاولة التمرّد التي قادها قورَح. [7]

لقد قام يعقوف بما قام به تعبيراً عن محبّته، حين كان مُستغرقاً في محبّته لراحيل وابنهما البِكر يوسف. والمحبة هي عاطفة مركزية في اليهودية: إنها تفوق محبة الزوجة والزوج لبعضهما البعض، ومحبة الأب والابن لبعضهما البعض، لتصل إلى حدود محبة الله عزّ وجلّ ومحبة الجار والغريب أيضاً. **لكن المحبة وحدها لا تَكفي،** فلا بُدّ من وجود العدالة وتطبيق القانون دون الكيل بمكيالين لكي يشعر الناسُ بأن القانون مُنصِفٌ، كما لا يُمكننا بناء المُجتمعات بالمحبة وحدها، لأن المحبة تجمع الناس وتفرّقُهم في الآن نفسه، فهي تجعلُ الذين يحظون بمحبة أقل من غيرهم يشعرون وكأنهم مُهمَلون مُتجاهَلون منبوذون، بل وتجعلهم يشعرون بأنهم "مَكروهون"، الأمر الذي يترك خلفه حالة من الفِتنة والنزاع والحسد ويخلق دوامة من العُنف والانتقام.

وهذا ما تُخبرنا بهِ التوراة عِندما تخلق رابِطاً معنوياً بين هذا **النصّ الأسبوعي** من جهة، وقصة يعقوف وأبنائه المذكورة في سِفر التكوين من جهة أخرى. إنها تُعلّمنا بأن القانون ليس أمراً عشوائياً لأنه متجذرٌ في تجاربنا التاريخية، والقانون بحد ذاته هو شكلٌ من أشكال **"تيكون"** (أي الإصلاح) لأنه طريقة لتصحيح الأخطاء التي ارتُكِبَت في الماضي. بالتالي يجب علينا أن نتعلم كيف نُحِبّ، لكن في الوقت نفسه ينبغي علينا أن نعلم حدود هذه المحبّة وأهمية العدل كشكل من أشكال الإنصاف في العائلة والمُجتمع.

---

1. هذا موضح ضمنياً في قصة يعقوف وابنه رؤوفن ويوسف. ويوضح كبار الحاخامات بأنهم استنتجوها من قصة بنات صلُفحاد (أنظُر: تفاسيرهم للآية السابعة من المقطع السابع والعشرين من سفر العدد - Bava Batra 118b)

2.المصدر: Sanhedrin 107a

3. هذه نتيجة لقيام يعقوف بشراء حقّ البكورة من أخيه عيسَف.

4.المصدر: الحاخام موشيه بن نَحمان في مستهل تفسيره للآية الثامنة من المقطع الثامن والثلاثين من سفر التكوين.

*مُلاحظة توضيحية من المترجم: بالإمكان الرجوع إلى نفس المصدر لفهم التشريع اليهودي "يبوم" والذي يتعلق بزواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى الذي لم يكن له أبناء ذكور. حيث يجب على الأخ أن يتزوج بأرملة أخيه وأن يُسمّى المولود الأول الذكر لهما باسم الشقيق المتوفّى لكي لا ينقطع اسمه من الدنيا عقب وفاته.

5. المصدر: الحاخام موشيه بن نَحمان في مستهل تفسيره للآية الخامسة من المقطع السادس والعشرين من سفر التكوين.

6.المصدر:

This is the subject of a famous essay by Robert Cover, “Nomos and Narrative,” *Harvard Law Review* 1983–1984, available at http://digitalcommons.law.yale.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=3690&context=fss_papers. Cover’s view was that “no set of legal institutions or prescriptions exists apart from the narratives that locate it and give it meaning. For every constitution there is an epic, for each decalogue a scripture.”

تشكل هذه النقطة موضوع مقالة مهمة للأستاذ روبرت كوفر "القانون والرواية". كان كوفر يرى بأنه "لا توجد أية مؤسسات قانونية أو تشريعات تتواجد بمنأى عن الروايات التي تمنحها معنى، فلكلّ دستور هنالك ملحمة، ولكل مجموعة من الوصايا هنالك نصّ ديني."

7. المصدر: الحاخام ابن عِزرا في مستهل تفسيره للآية الأولى من المقطع السادس عشر من سِفر العدد. Ibn Ezra on Numbers 16:1.

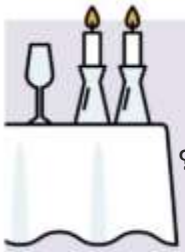

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- ما هي الدروس والعِبَرُ التي يُمكننا تعلّمها من قِصة يعقوف وعائلته؟
2- هل يمكنك استحضار موقفٍ قام فيه شخصٌ ما باتخاذ قرارٍ خاطئ بسبب محبته لشخص آخر؟
3- لماذا لا تُعتبرُ المحبة وحدها كافية لأي مُجتمع؟ وما هي القيم الأخرى التي نحتاجها بالإضافة إلى المحبة؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/ki-teitse/the-limits-of-love/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*